

رابطة العالم الإسلامي
الهيئة العالمية للكتاب والسنة
إدارة بحوث القرآن الكريم والمناهج الدراسية

التدبر والعمل

بكتاب الله ووسائل غرسهما في النفوس

أ. د/ عبد الكريم إبراهيم صالح
وكيل كلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر
ورئيس لجنة مراجعة المصحف الشريف بالأزهر

التـدبر والعمـل

بكتاب الله ووسائل غرسهما في النفوس

التدبر والعمل

بكتاب الله ووسائل غرسهما في النفوس

أ. د/ عبد الكريم إبراهيم صالح

وكيل كلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر

ورئيس لجنة مراجعة المصحف الشريف بالأزهر



رقم الإيداع: ٢٢٦٠٨/١٤٣٢

ردمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٣٧-٥٠-٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[ص: ٢٩]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب، قرآنًا عربيًا غير ذي عوج، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأصلي وأسلم على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد ﷺ الذي أنزل ربه عليه القرآن الكريم، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا.

فإن الله -عز وجل- جعل لكل نبي معجزة يؤيده بها، وتظهر صدق قوله، وأكرم نبينا محمدًا ﷺ، فأيده بمعجزات كثيرة، أفضلها وأعظمها القرآن الكريم، فهو حجة الرسول ﷺ، وآيته الكبرى، يقوم به في الدنيا شاهدًا برسالته، ناطقًا بنبوته، دليلًا على صدقه وأمانته، وهو ملاذ الدين الأعلى، يستند إليه الإسلام في عقائده وعباداته، وحِكمِه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه.

أنزله الله نورًا لا تطفأ مصابيحه، ومنهاجًا لا يضل من نهجه، فهو معدن الإيمان، وهو ينبوع العلم، بحر لا ينفد، دواء ليس بعده داء، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الحق ليس بالهزل، بالحق أنزله الله وبالحق نزل، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، يرفع الله به أقوامًا ويضع به آخرين.

بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه.

كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها عزة، ومن بهجتها درة، لاحت عليها بهجة القدرة.

فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب... لا تستقصي معانيه فهم الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق.

فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكره.

ولقد اعتنى السلف الصالح -رضوان الله عليهم- بهذا القرآن عناية بالغة، فكانوا يتلونه آناء الليل والنهار، وكانوا يحرصون على فهمه وفقهه وتدبره والعمل بأحكامه، وبفضله عُزُّوا وسادوا، وأصبح لهم بين الناس شأن؛ مصداقًا لقول الله -عز وجل-: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وإن من أفضل الأعمال التي يُتَقَرَّبُ بها إلى الله -تعالى-، وأعظم ذكر يذكر به الله -جلت قدرته- قراءة القرآن الكريم تعبدًا وتفكرًا وتدبرًا بحيث يقود إلى طاعة الله -سبحانه- وامتثال أمره، إن تلك هي التجارة الرابحة على الدوام؛ يقول جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وبالجملة: فإن التدبر والعمل به فضيلة تزين أحرار الرجال، وخيار الأبطال؛ لما في التدبر من عمق النظر في عواقب الأمور، فإن المؤمن إذا صدق في تدبره يصير يقظًا في تفكيره وتعبيره، وفي قوله وعمله، وفي صلاته الفردية والعامة، وفي تلاوته لكتاب ربه، فهو يضيء صدره بنور الفكرة، ويعمر قلبه بوازع العبرة، ويجعل لسانه وراء عقله، فلا يلفظ اللفظة إلا بعد أن يزنها بميزان العقل.

وإن المتدبر للقرآن الكريم في قلبه حاجة ماسة، وفاقة متوقدة لغاية لا يجدها إلا في القرآن العظيم، فهو يقرأ القرآن الكريم بقصد وغاية، لا يقر له قرار، ولا تستقيم له حال، ولا يهدأ له بال حتى يظفر بها، ولا عجب أن يجد القلب راحته في تدبر القرآن الكريم، وتفهم ألفاظه، ومقاصد آياته.

نعم إن أجر تلاوة القرآن العظيم كما جاء في الحديث النبوي الشريف: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1] ولكن أجر تأمله وتدبره أعظم من أجر تلاوته، وهذا ما فهمه الصحابة -رضوان الله عليهم- وهم رواة أحاديث فضل التلاوة، فقدموا أجر التدبر على ما دونه، وهو أجر التلاوة نظرًا أو حفظًا.

وقد وفقني الله -تعالى- أن أتناول بحث «تدبر القرآن الكريم والعمل به» لأهميته في فهم النص القرآني؛ إذ إن تدبر القرآن طريقة راقية للوعظ والتذكير والتوجيه.

ولقد ارتسمت خطة لهذا البحث، تتكون من تمهيد بين يدي البحث، وأربعة مباحث، وخاتمة:

أما التمهيد ففيه ما يلي:

* حقيقة التدبر.

* أهمية التدبر.

* أنواع التدبر.

*** المبحث الأول: دعوة إلى التدبر.**

*** المبحث الثاني: الأمور المساعدة على تدبر القرآن الكريم، وفيه ما يلي:**

١- إخلاص نية القارئ في تلاوته وحفظه.

(١) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر: ١٧٥/٥، رقم (٢٩١٠)، التاريخ الكبير للبخاري: ٢١٦/١، رقم (٦٧٩)، مصنف ابن أبي شيبة: ١١٨/٦، رقم (٢٩٩٣٣)، شعب الإيمان للبيهقي: ٣/٣٧٠-٣٧١، رقم (١٨٣٠)، حلية الأولياء: ٢٦٣/٦. وحسنه الترمذي.

٢- الاستعاذة من الشيطان عند الشروع في القراءة.

٣- التجويد وحسن التلاوة.

٤- حسن الوقف والابتداء.

٥- تحسين الصوت بالتلاوة.

٦- الاستماع والإنصات.

٧- قيام الليل بما حفظ.

٨- التجاوب مع آيات القرآن الكريم.

٩- التفكر والاعتبار.

*** المبحث الثالث: معوقات التدبر، وفيه ما يلي:**

١- مرض القلب وانشغاله.

٢- الكبر.

٣- الغفلة وعدم الفقه.

٤- اقتراف الذنوب والإصرار عليها.

*** المبحث الرابع: ثمار التدبر، وفيه ما يلي:**

١- التأثر وخشوع القلب.

٢- الاستنباط.

٣- العمل بما في القرآن الكريم.

التمهيد

- حقيقة التدبر.
- أهمية التدبر.
- أنواع التدبر.

حقيقة التدبر

أولًا: في اللغة:

يطلق التدبر في لغة العرب ويراد به معان عدة، منها: النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه، وتدبّر الكلام: النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد أخرى ليستيقنه، والتدبير: التفكير في دبر الأمور، ودبر الأمر: ساسه ونظر في عاقبته، والتدبير: حسن القيام على شؤون البيت، والدبارة: قطعةُ الأرض تستصلح للزرع وجمعها دبار، والدَّبر: المال الذي لا يحصى كثرة[1]. والتدبر والتفكر والتأمل والتذكر بينها ترادف وتقارب وتداخل في المعاني.

وهذه المفردة القرآنية -التدبر- التي تتسم بقلة الحروف وكثرة المعاني، فإن التدبر في القرآن الكريم يمكن أن يحوي معاني أكثر هذه المشتقات اللغوية، فالقرآن الكريم نزل ليفكر فيه المسلم ويفهم معانيه، ويطبقها في حياته مستفيدًا من هدايتها، كما يستفيد من الأرض المستصلحة للزرع، وكما يستفيد من الأموال التي لا تحصى كثرة، والمسلم مطالب -وفق منهج التدبر الشامل- بإمعان النظر في القرآن الكريم وفهم مقاصده، والسير خلفه واتباعه، واستثماره في تدبير الحياة وعمارة الكون، والقيام على شؤون المسلمين، والانطلاق منه في سياسة الأمور والنظر في عواقبها، واستثماره في هداية الآخرين.

ثانيًا: في الاصطلاح:

والتدبر في الاصطلاح: هو النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر إلا

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٤٩٩، ومختار الصحاح للرازي، ص١٠٧، ولسان العرب لابن منظور ٢٧٣/٤ وما بعدها. بتصرف واختصار.

أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب[1].

تدبر القرآن الكريم:

وأما تدبر القرآن الكريم: فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره[2] وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر؛ بل إنه الفهم لما يتلى من القرآن الكريم مع حضور القلب وخشوع الجوارح والعمل بمقتضاه.

وصفة ذلك: أن يشتغل القلب في التدبر والتفكير في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كل آية معناها، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها ومرادها.

يقول الحسن البصري -رحمه الله-: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوُا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَّبِهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ وَيُنَفِّذُونَهَا بِالنَّهَارِ»[3].

---

(١) التعريفات للجرجاني ص٧٦.

(٢) مدارج السالكين ١/٣٦٣.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٤٩٨.

أهمية التدبر في تلاوة القرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي يمثل الخطاب السماوي الأخير للبشرية جمعاء، إليه انتهت أصول الرسالات السماوية، وكمل به الدين الإسلامي، وهو مصدر عقيدة هذه الأمة، ووعاء أفكارها وقيمها، وهو أعظم ما تمتلك الأمة المسلمة من ثروة، بل هو ثروة الإنسانية جميعًا.

لهذا وغيره كان التدبر والتفكر في تلاوة القرآن الكريم، إذ يؤجر المؤمن عليه، إن تدبر آيات القرآن الكريم هو وحده الطريق لفتح القلوب المغلقة، وإزالة الأقفال الصماء، بعدها يمكن للهداية أن تصل إلى قلب المؤمن التالي للقرآن الكريم، وعنده يشع نوره ليجلو ظلمات الآخرين في كل ميادين الحياة، فيكون المتدبر للقرآن الكريم فردًا فعالًا ولبنة قوية في صرح مجتمعه، يعود على الناس جميعًا.

ولقد أدرك الإمام ابن القيم هذا المعنى وتلك الأهمية حين قال: «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه»[1].

كما أنه لا شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما. وتثلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ١/٢٢١.

النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه»(١).

وبسبب التدبر في تلاوة القرآن الكريم فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر(٢).

وعليه فينبغي لتالي القرآن الكريم أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب الذي تنشرح به الصدور، وتستنير القلوب.

فلو علم الناس ما في قراءة القرآن الكريم بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى إذا مر بآية وهو محتاج إليه في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم وتدبر خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن الكريم... فقراءة القرآن الكريم بالتفكر هي أصل صلاح القلب.

(١) مدارج ١/٣٦٣ بتصرف واختصار.
(٢) السابق.

أنواع تدبر القرآن الكريم

النوع الأول: تدبر القرآن الكريم لمعرفة صدق من جاء به، وأنه حق من عند الله -تعالى-[1].

وذلك أن الله -تعالى- نعى على المنافقين إعراضهم عن طاعة الرسول الكريم ﷺ: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨١-٨٢].

قال ابن القيم ما ملخصه: «ومن شهادته أيضًا: ما أودعه في قلوب عباده: من التصديق الجازم، واليقين الثابت، والطمأنينة بكلامه ووحيه، ....، ولهذا ندب الله -عز وجل- عباده إلى تدبر القرآن، فإن كل من تدبره أوجب له تدبره علمًا ضروريًا ويقينًا جازمًا: أنه حق وصدق، بل أحق كل الحق، وأصدق كل صدق، وأن الذي جاء به أصدق خلق الله، وأبرهم، وأكملهم علمًا، وعملًا، ومعرفة، ....»[2].

النوع الثاني: تدبره للوقوف على عظاته، والاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، وتعقل أمثاله المضروبة، وما اشتمل عليه من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، من أجل أن يرعوي العبد فيستدرك ما وقع له من تقصير، ويزداد من الإقبال والتشمير في طاعة الله -تعالى-[3].

(١) مفهوم التدبر تحرير وتأصيل ورقة د/خالد بن عثمان السبت ص١٦٥.

(٢) مدارج السالكين ٣/٤٣٧.

(٣) جامع البيان ٢٢/١٧٩، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٤٦، وروح المعاني للألوسي ١٩/١٥٤، ويراجع مفهوم التدبر مصدر سابق.

النوع الثالث: تدبره لاستخراج الأحكام منه، سواء كان ذلك مما يتصل بالعقائد، أو الأعمال المتعلقة بالجوارح، أو السلوك، إذ الأحكام تشمل ذلك كله بمفهومها الأوسع.

النوع الرابع: تدبره للوقوف على وجوه فصاحته وبلاغته وإعجازه، وصروف خطابه، واستخراج اللطائف اللغوية التي تستنبط من مضامين النص القرآني.

النوع الخامس: تدبره للتعرف على ضروب المحاجة والجدال للمخالفين، وأساليب الدعوة للناس على اختلاف أحوالهم، وطرق التأثير على المخاطبين، وسُبل الإقناع التي تضمنها القرآن الكريم.

النوع السادس: تدبره من أجل الاستغناء به عن غيره سوى السنة النبوية المطهرة فإنها شارحة له.

قال ابن تيمية: «وَأَمَّا فِي «بَابِ فَهْمِ الْقُرْآنِ» فَهُوَ -أي تالي القرآن الكريم- دَائِمُ التَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ، وَالتَّدَبُّرِ لِأَلْفَاظِهِ، وَاسْتِغْنَائِهِ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَحُكْمِهِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، وَإِذَا سَمِعَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ النَّاسِ وَعُلُومِهِمْ عَرَضَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنْ شَهِدَ لَهُ بِالتَّزْكِيَةِ قَبِلَهُ وَإِلَّا رَدَّهُ»[1].

النوع السابع: تدبره من أجل تليين القلب به، وترقيقه وتحصيل الخشوع، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقوله جل وعلا: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٥٠.

وقوله جل شأنه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧].

وأخبار النبي ﷺ وسلف الأمة وخلفها دالة على ذلك دلالة واضحة.

النوع الثامن: تدبر القرآن من أجل الامتثال والعمل بما فيه من أوامر، واجتناب النواهي.

عَنْ قَتَادَةَ أنه قال في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: وَاللَّه إِنَّ حَقَّ تِلَاوَته أَنْ تُحِلَّ حَلَالَهُ، وَتُحَرِّمَ حَرَامَهُ، وَأَنْ تَقْرَأَ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَلَا تُحَرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ[1].

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي ١/٣٩٧، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ١/١١٦.

المبحث الأول

الدعوة إلى التدبر

أولًا: دعوة القرآن الكريم إلى التدبر

ثانيًا: دعوة السنة إلى تدبر القرآن الكريم

أولًا: دعوة القرآن الكريم إلى التدبر

لقد حث القرآن الكريم أتباعه على التدبر، ودعاهم إلى التمسك بهذا المنهج، فعندما نلقي نظرة سريعة على القرآن الكريم نجد فيه دعوة صريحة إلى التدبر في آياته، وأن الله -تعالى- بحكمته وصف كتابه العزيز بأوصاف عظيمة منها أنه كتاب عزيز مبارك، وأنه نور وفرقان، ورحمة وبرهان، وهدى وبشرى، وكثيرًا ما يقرن المولى جلت قدرته هذه الأوصاف بالحث على التدبر والاعتبار والتذكر، قال جل شأنه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] والمعنى: هذا كتاب كثير الخير والبركة فيه الشفاء لمن تمسك به والنجاة لمن تبعه، وقد أنزله الله -تعالى- للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر، وليتعظ أهل العقول الراجحة به وببيانه، يتذكرون بتدبرهم كل علم ومطلوب، فيحصل لهم التذكر والانتفاع بهذا الكتاب الخالد، فكل من قرأه متدبرًا عرف الهدى، ومن قرأه تقربًا حصل على القرب وفاز به، ومن قرأه حاكمًا عدل في حكمه(١).

وفي الآية الكريمة دليل على أن الله -سبحانه وتعالى- إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه لا لمجرد التلاوة بدون تدبر، وهذا من أفضل الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه.

روى عبد الرزاق عن الحسن -رحمه الله- أنه تلا هذه الآية ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩] فقال: وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِه إِلَّا اتِّبَاعُهُ بِعِلْمِهِ، أما وَاللَّهِ مَا هَذَا بِحِفْظِ حُرُوفِهِ، وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ:

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٢/٣٣ بتصرف.

«إِنِّي لَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَمَا أُسْقِطُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللَّهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ فَمَا يُرَى لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ»[1] فالتدبر إذن يدعو إلى الخشوع والعمل، فمن تدبر خشع، ومن خشع خاف، ومن خاف عمل.

ولقد أثنى الله -تعالى- في كتابه القرآن الكريم على المؤمنين من عباده وبين أنهم يتأثرون بالقرآن، ويتدبرون في معانيه، فتقشعر منهم جلودهم، وتهفو إليه نفوسهم، ويزدادون به إيمانًا مع إيمانهم، وإليك بعض الآيات الدالة على ذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢] أي أن هؤلاء المؤمنين من صفاتهم أنهم إذا قرئت عليهم آيات الله -تعالى- زادتهم تلاوتها قوة في التصديق، وشدة في الإذعان، ورسوخًا في اليقين، ونشاطًا في الأعمال الصالحة، وسعة في العلم والمعرفة.

فالتلاوة المتدبرة تزيد الإيمان بالله الذي يدفع المؤمن لالتزام منهجه، وجاء التعبير بصيغة المبني للمفعول في قوله: ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ ﴿تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ للإيذان بأن هؤلاء المؤمنين الصادقين إذا كانوا يخافون عندما يسمعون من غيرهم آيات الله ... فإنهم يكونون أشد خوفًا وفزعًا عند ذكرهم لله وعند تلاوتهم لآياته بألسنتهم وقلوبهم.

فالمقصود من هذه الصيغة مدحهم، والثناء عليهم، وبيان الأثر الطيب الذي يترتب على ذكر الله، وعلى تلاوة آيات القرآن الكريم بتدبر وتفكر.

وللوصول إلى هذه الدرجة من الإيمان والإخبات لا بد من العلم الذي ليس له طريق إلا تدبر القرآن الكريم كما قال جل وعلا: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٥٣٨٤) وابن المبارك في الزهد ٧٩٣.

مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤] والعطف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب، أي: العلم يترتب عليه الإيمان، والإيمان يترتب عليه الإخبات، فهم إذا علموا آمنوا و إذا آمنوا أخبتوا، والعلم المطلوب هنا هو الذي يعطي صاحبه القدرة على تدبر القرآن الكريم وفهمه.

ولقد وصف ربنا -جل جلاله- قلوب الخاشعين الذين كانت جلودهم تقشعر وتنقبض، ثم تلين وتنبسط تأثرًا بالقرآن الكريم وذلك في قوله -تعالى-:﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

يقول الإمام القرطبي: «لما كان في غاية الجزالة والبلاغة اقشعرت الجلود منه إعظامًا له، وتعجبًا من حسن ترصيعه وتهيبًا لما فيه»[(١)].

ولقد نعى القرآن الكريم على أولئك الذين لا يتدبرون القرآن ولا يستنبطون معانيه، قائلًا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢] وهذا استفهام إنكاري، ينكر الله -تعالى- فيه عليهم عزوفهم عن القرآن الكريم، وعن قراءته بتدبر وأناة، والخطاب في هذه الآية موجه للمنافقين الذين تحدث السياق القرآني عنهم قبل هذه الآية الكريمة.

وعلى كل فهذه الآية فيها تحضيض في صورة الاستفهام؛ إذ المقصود بالتدبر فيها التأمل في الآية عقيب الآية، أو التأمل بعد التأمل في الآية الواحدة، وكأن القرآن الكريم ليس فقط يدعو الناس إلى التدبر في آياته فحسب و إنما يطلب منهم إلى جانب ذلك أن يمارسوا التدبر العميق كما يفهم من الآية الكريمة. وفي هذا إشارة إلى ثمرة من ثمار التدبر وهو اكتشاف إحدى معجزات القرآن الكريم،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٢٥٠.

وهي التشابه البياني، والتكامل في المعاني حيث لا اختلاف ولا تناقض رغم نزول القرآن الكريم خلال ثلاث وعشرين سنة في أوقات وظروف وأماكن مختلفة.

ثم يؤكد القرآن الكريم أن هناك «أقفالًا» تغلق قلوب البشر وتصرفهم عن التدبر في آياته؛ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون عن كتاب الله -عزو جل- ويتأملونه حق التأمل فيدركون ما فيه من المواعظ والزواجر، فإن القرآن الكريم نور يكشف الظلمة، ويزيل الغشاوة، أم قلوبهم مظلمة قاتمة، كأنها مكبلة بالأقفال الحديدية، فلا يصل إليها نور، ولا يشرق فيها إيمان!؟

شبه المولى -جلت قدرته- قلوب المنافقين بالأبواب المقفلة، فهي لا تستفيد من وعظ، ولا تلين لنصح، كأن القلوب أبواب أغلقت بإحكام وجعلت عليها الأقفال، فكيف يدخل إليها شيء من نور القرآن الكريم؟

قال الإمام الشنقيطي: «فَقَدْ أَنْكَرَ تَعَالَى عَلَيْهِمْ إِعْرَاضَهُمْ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، بِأَدَاةِ الْإِنْكَارِ الَّتِي هِيَ الْهَمْزَةُ، وَبَيَّنَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ عَلَيْهَا أَقْفَالٌ لَا تَنْفَتِحُ لِخَيْرٍ، وَلَا لِفَهْمِ قُرْآنٍ»[١].

قلت: وهذه الآية الكريمة وسابقتها تدلان على أن من لوازم تدبر القرآن الكريم النظر والتأمل في الآيات وإقبال القلب وحضوره مع القرآن الكريم وإيمانه به.

ولا شك أن تلاوة القرآن الكريم بغير فهم ولا تدبر ليست هي المقصودة، بل المقصود الأكبر أن يقوم القارئ بتحديق ناظر قلبه إلى معاني القرآن الكريم، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وإجالة الخاطر في أسراره وحكمه.

وكذلك يؤنب الله -تبارك وتعالى- المعرضين عن تدبر القرآن الكريم بقوله

---

(١) أضواء البيان ٧/٢٥٦.

- عز وجل-: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ...﴾ [المؤمنون: ٦٨]، والخطاب في الآية الكريمة لكفار مكة حيث كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام، ويقولون: «إنه سحر، إنه شعر، إنه كهانة» إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة[(١)].

والاستفهام في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ...﴾ استفهام توبيخي إنكاري ينعي عليهم أنهم لو تدبروه لصدَّقوا بما فيه، وعلموا أنه كلام رب العالمين، وعبر في هذه الآية عن القرآن بالقول؛ لأنهم يسمعونه مقولًا، ولا يقرؤونه قراءة متدبرة، وهو تعبير في غاية البلاغة في هذا السياق.

هذا، ولا ينتهي طلب التدبر عند ألفاظه المباشرة، بل دعا الله إليه وحث عليه في آيات عديدة بعبارات أخرى منها: التفكر، والتذكر، والتعقل، والتبصر، ونحو ذلك.

وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية وهي تدبر القرآن العظيم جعل الله -تعالى- القرآن الكريم كتابًا ميسرًا للفهم، وفي هذا يقول جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢، ٣٢، ٤٠]، والمعنى: إن الله -تعالى- بعظمته وقدرته ولطفه بالأمة سهل القرآن الكريم للاتعاظ والادكار والتدبر، أو سهله للحفظ، وسهل لفظه للنطق، فقد أعان عليه من أراد حفظه، فهل من قارئ يقرؤوه، ومتذكر يتذكر به ويتعظ؟

قال الإمام القشيري: «يسر قراءته على ألسنة قوم، وعلمه على قلوب قوم، وفهمه على قلوب قوم، وحفظه على قلوب قوم، وكلهم أهل القرآن وخاصته»[(٢)].

ومن هنا نلمح أن هذه الآية الكريمة حث على درس القرآن والاستكثار من تلاوته وتدبر آياته، والمسارعة في تعليمه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٤٨٢.

(٢) لطائف الإشارات ٣/٤٩٧.

واللافت للنظر أن هذه الآية وهي: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ كررت في سورتها أربع مرات، وهذا التكرار من حكمته تجديد التنبيه على الادكار والاتعاظ والتدبر؛ إذ إنه ينبه الغافل، ويعين العاقل على أن كل موضع مختص بمزيد فائدة لم تعرف من غيره لتكون مصورة في الأذهان محفوظة في كل أوان، الأمر الذي جعل حبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: «لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَسَّرَهُ عَلَى لِسَانِ الْآدَمِيِّينَ مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-».[1]

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٦٤.

ثانيًا: دعوة السنة إلى تدبر القرآن الكريم

وكما حث القرآن الكريم على التدبر والتأمل في آياته أثناء التلاوة، كذلك دعت السنة النبوية المطهرة إلى التدبر في تلاوة القرآن الكريم؛ فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا -أي بتمهل في القراءة- إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ»[1].

وكان ﷺ: يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَقَرَأَ آيَةً وَاحِدَةً اللَّيْلَ كُلَّهُ حَتَّى أَصْبَحَ، بِهَا يَقُومُ، وَبِهَا يَرْكَعُ، وَبِهَا يَسْجُدُ. فَقَالَ الْقَوْمُ لِأَبِي ذَرٍّ: أَيُّ آيَةٍ هِيَ؟ فَقَالَ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨][2].

وقد سئل أنس رضي الله عنه، كما في صحيح البخاري[3]: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: «كَانَتْ مَدًّا» أي ذات مد.

قال العلامة السندي، في شرح سنن النسائي: أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة،

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل: ١/٥٣٦، رقم (٧٧٢)، سنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب تسوية القيام والركوع: ٣/٢٢٥، رقم (١٦٦٣).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص١٤٤، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (مختصرًا): فصل في إحضار القارئ قلبه ما يقرؤه والتفكر فيه: ٣/٤٠٥، رقم (١٨٨٠).

(٣) كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة: ٦/١٩٥، رقم (٥٠٤٦).

يستعين بها على التدبر والتفكر، وتذكير من يتذكر[1]. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: فصلناه آياتٍ وسورًا لتقرأه على الناس على تمهل وتثبت، ليتيسر لهم تلقينه وحفظه وتدبره، وروايته عنك.

وكما كان صلوات الله وسلامه عليه يتلو القرآن الكريم، كان يسمعه من غيره، وقد تفيض عيناه من الدمع؛ إجلالًا لربه، ورهبة من عظمته، واستعظامًا لقدرته، وإشفاقًا على أمته، وتأثرًا بآياته، وكلماته، وحكمته[2].

روى عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «أَمْسِكْ» -أي توقف عن القراءة- فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[3].

وفي هذا الحديث -كما قال النووي- استحباب استماع القراءة، والإصغاء إليها، والبكاء عندها وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع إليه. وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه[4].

وقد تلقى الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- عن الرسول الكريم ﷺ القرآنَ الكريمَ وكيفيةَ تلاوته، ونقلوها إلى من بعدهم، كما سمعوا من فمه الشريف.

وكانوا يتلونه بترتيل وتدبر وخشوع، ويسمعونه في إنصات وصمت، وكمال سمت، وتدبر وتفكر: قلوبهم في بحار معانيه عائمة، وعقولهم حول اكتناه

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي ١٧٩/٢(مطبوع مع السنن).

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ١٧٩/٢(مطبوع مع السنن).

(٣) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ...﴾: ٤٥/٦، رقم (٤٥٨٣)، وكتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك: ١٩٦/٦-١٩٧، رقم (٥٠٥٠)، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن: ٥٥١/١، رقم (٨٠٠).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٨/٦.

أسراره حائمة، وعلى أبواب علومه ومعارفه جاثمة، وألسنتهم وجوارحهم عن اللغو واللهو والعبث صائمة.

وكذلك كان شأن السلف الصالح في تلاوة القرآن الكريم وسماعه: ترتيل وتدبر، واتعاظ وتذكر، وأدب وخشوع، ورهبة وخضوع، وطمع ورجاء، وخشية وبكاء؛ لشدة معرفتهم بالله -تعالى- وفهمهم في كتابه، وتدبرهم له. وكان ذلك شأن من آمن بالقرآن الكريم من أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وكان من الصحابة والسلف الصالح من يقوم معظم الليل، بآية واحدة، يكررها متأملًا في معانيها، متبحرًا بفكره في مراميها[١].

روي أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يقرأ الآية في قيامه من الليل، فيتدبرها حتى ربما سقط من قيامه، من شدة خشيته وخشوعه ... وربما يمرض بسبب ذلك، حتى يعاد.

وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩].

ومحمد بن المنكدر يسأله أبو حازم عن البكاء طيلة ليلة، فيقول: آية من كتاب الله أبكتني: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

ويقول أبو سليمان الدّاراني: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليالٍ أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها[٢].

والنماذج على ذلك كثيرة تكاد لا تحصى، ويُوشك ألّا تستقصى.

(١) القرآن الكريم: آداب تلاوته وسماعه للشيخ حسنين محمد مخلوف ص٣٢، ٣٣.
(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص٦٨ وما بعدها.

المبحث الثاني

الأمور المساعدة على تدبر القرآن الكريم

١- إخلاص نية القارئ في تلاوته وحفظه.

٢- الاستعاذة من الشيطان عند الشروع في القراءة.

٣- التجويد وحسن التلاوة.

٤- حسن الوقف والابتداء.

٥- تحسين الصوت بالتلاوة.

٦- الاستماع والإنصات.

٧- قيام الليل بما حفظ.

٨- التجاوب مع آيات القرآن الكريم.

٩- التفكر والاعتبار.

هناك أمور مشروعة على قارئ القرآن الكريم التحلي بها لتساعده على تدبره لكتاب الله الخالد والوقوف عند آياته وذلك بعد أن يستعين بالله -تعالى- ويسأله التوفيق والسداد والقبول، منها :

١- إخلاص نية القارئ في تلاوته وحفظه:

وَالْإِخْلَاصُ: إِفْرَادُ الْحَقِّ فِي الطَّاعَةِ بِالْقَصْدِ، وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ بِطَاعَتِهِ التَّقَرُّبَ إلى الله -تعالى- دون شيء آخَرَ مِنْ تَصَنُّعٍ لِمَخْلُوقٍ، أَوْ اكْتِسَابِ مَحْمَدَةٍ عِنْدَ النَّاسِ، أَوْ مَحَبَّةِ مَدْحٍ مِنْ الْخَلْقِ، أو شيء سِوَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى-[١].

وعليه فينبغي على من يريد قراءة القرآن الكريم أن يخلص قصده لله -تعالى- في طلب تدبره وتفهمه، ولن ينتفع قارئ القرآن الكريم بما يقرأ حتى يخلص النية لله، والأعمال بالنيات، وإنما يعطى المرء على قدر نيته، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فلا يكون قصد القارئ أو المقرئ التعالي أو الشهرة أو المماراة أو التوصل إلى عرض الدنيا من مال أو جاه أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء الناس عليه، قال تعالى: ﴿...وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٢] [الشورى: ٢٠].

وقال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

---

(١) الرسالة القشيرية ٣٥٩/٢، المجموع للنووي ١٧/١.

(٢) البيان شرح التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص٣٦ بتصرف يسير.

(٣) سنن أبي داود: كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله -تعالى-: ٣٢٣/٢، رقم (٣٦٦٤)، سنن=

وقال ﷺ -أيضًا-: «اقْرَءُوا فَكُلٌّ كِتَابُ لِلَّهِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، وَيَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»[1] والمعنى: يتعجلون أجره إما بمال وإما بسمعة ونحو ذلك.

ولذلك قال حبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ أَخَذُوهُ بِحَقِّهِ وَمَا يَنْبَغِي لَأَحَبَّهُمُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَالصَّالِحُونَ وَلَهَابَهُمُ النَّاسُ، وَلَكِنْ طَلَبُوا بِهِ الدُّنْيَا فَأَبْغَضَهُمُ اللَّهُ وَهَانُوا عَلَى النَّاسِ»[2].

فإذا تسرب شيء من ذلك إلى نية القارئ فليبادر بالتوبة والإنابة إلى الله -تعالى-، وليجدد الإخلاص وليكن على حذر؛ لأن أول من تسعر به النار يوم القيامة رجل من ثلاثة: «...، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، ...»[3].

أرأيت إلى الرياء كيف يحبط الأعمال مهما بلغت وعظمت؟ أبعد القتال والعلم والقرآن والإنفاق أعمال تقاس بها؟ ومع ذلك فإن دخول الرياء فيها هشم أسوارها، وحطم بنيانها، وقوض أركانها، وأزال قوتها، وضيع ثوابها.

= ابن ماجة: باب الانتفاع بالعلم والعمل به: ١/٩٢، رقم (٢٥٢)، مصنف ابن أبي شيبة: ٥/٢٨٥، رقم (٢٦١٢٧)، مسند أحمد: ١٤/١٦٩، رقم (٨٤٥٧)، صحيح ابن حبان: ١/٢٧٩، رقم (٧٨)، كلهم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الحاكم.

(١) مصنف عبد الرزاق: ٢/٢٨٢، رقم (٦٠٣٤)، مصنف ابن أبي شيبة: ٦/١٢٥، رقم (٣٠٠٠٤)، مسند أحمد: ٢٢/١٤٤، رقم (١٤٨٥٥). وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ١/٢٥٨، رقم (١١٦٧)، وانظر كلامه عليه في السلسلة الصحيحة: ١/٥٢٠-٥٢٢، رقم (٢٥٩).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/٦٥٥، المدخل لابن الحاج ١/٦٦، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٠.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار: ٣/١٣١٥، (١٩٠٥)، سنن النسائي: كتاب الجهاد من قاتل ليقال فلان جريء: ٣/٢٣، رقم (٣١٣٧).

فالإخلاص: شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

والرياء شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، والقلوب المخلصة ترسل أشعتها فتضيء للناس طريق النجاة، والقلوب المرائية تفرز سوادًا قاتمًا وظلمة حالكة تتعثر المجتمعات في سراديب ضلالها.

والإخلاص هو الروح السارية في الإيمان عقيدة أو عبادة أو معاملة، وبغير الإخلاص تصبح أعمال المسلم نواة لا روح فيها، فنعوذ بالله من الرياء ونسأله - سبحانه - الإخلاص في القول والعمل، والتلاوة الدقيقة المتدبرة.

٢- الاستعاذة من الشيطان عند الشروع في القراءة:

معلوم أن الشيطان الرجيم أحرص ما يكون على الإنسان إذا تلا القرآن الكريم، لهذا أمر الله -تعالى- بالاستعاذة عند أول كل قراءة، فقال جل شأنه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] أي: إذا شرعت في قراءة القرآن الكريم فاسأل الله -تعالى- أن يعيذك من وساوس الشيطان الرجيم، لئلا يلبس عليك قراءتك، ويمنعك من التدبر والتفكر، كما قال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فالمستعيذ بالله مستجير به، لاجئ إليه، مستغيث به، من الشيطان ليجيره منه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاستعاذة عند الشروع في تلاوة القرآن الكريم لها فوائد عدة أوردها الإمام ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان[1]، منها: أن القرآن شفاء لما في الصدور، فتكون الاستعاذة تنقية لما في القلب مما ألقى الشيطان من شرور.

(١) ٩٢/١ وما بعدها باختصار، ويراجع تدبر القرآن لسلمان بن عمر السنيدي ص٣١.

ومنها: أن الاستعاذة تمنع الشيطان من أن يفسد ما سيحصل للقلب من الهدى والنور والعلم والخير بتفهُّم القرآن وتدبره.

ومنها: أن الملائكة تدنو من قارئ القرآن وتستمع له، وتثبت القلب بالسكينة؛ والاستعاذة تطرد الشيطان.

ومنها: أن الشيطان يشغل القارئ، ويقبل عليه في الصلاة -وفي غيرها- بخيله ورجله، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، وهو تدبره وتفهُّمه والتأثر به، والاستعاذة تدفع ذلك.

ومنها: أن الله -سبحانه- أخبر أنه ما أرسل ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾، والسلف كلهم على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، فإذا كان هذا فعله مع الرسل -عليهم السلام- فكيف بغيرهم؟ ولهذا فهو يغالط القارئ، وينسيه ويشوش عليه، أو يشغل قلبه وذهنه.

ومنها: أن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام بأن المأتي به بعدها القرآن، ولهذا لم تشرع الاستعاذة بين يدى كلام غيره، بل الاستعاذة مقدمة وتنبيه للسامع أن الذي يأتي بعدها هو التلاوة، فإذا سمع السامع الاستعاذة استعد لاستماع كلام الله -تعالى-، لهذا وغيره أُمِرَ بالاستعاذة.

والخلاصة: أن أهم وساوس الشيطان وتسويلاته مرتبطة بمنعه المؤمن من العيش مع القرآن الكريم بقلبه وعقله، ولذلك يكثر من الوسوسة لإغواء الإنسان وثنيه عن محاولة تدبر القرآن الكريم، ومن هنا وجبت الاستعاذة قبل الشروع في القراءة للإيواء إلى ركن ركين، وحصن حصين، ثم مدافعته أثناء التدبر حتى لا يصرف عقل القارئ وقلبه إلى موضوع آخر، وإن الاستعاذة بجانب كونها احتماءً بالله -عز وجل- من مكائد الشيطان ووساوسه ونزغاته فهي تعني بوصلة الاهتداء نحو الأعلى للتلقي عن الله -تعالى- وحده، ولهذا

فإن الله -تعالى- لم يأمر بها إلا في مقام قراءة القرآن؛ وذلك لأن الشيطان حريص كل الحرص على تجفيف منابع الهداية، وليس للهداية منابع كتدبر القرآن الكريم، ولما كانت الاستعاذة بهذه الأهمية البالغة كمعين على تدبر القرآن الكريم، فقد حث عليها علماء المسلمين، بل واعتبرها أغلبهم واجبة عند الشروع في القراءة[1].

٣- التجويد وحسن التلاوة:

معلوم أن علم التجويد علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة ترتيل النظم المبين، ومخارج الحروف وصفاتها، بإعطائها حقها من الوصل والوقف، والمد والقصر، والإدغام والإظهار، والإخفاء، والإمالة، والتحقيق، والتفخيم والترقيق، والتشديد والتخفيف، والقلب والتسهيل إلى غير ذلك ...

ورغم أن التجويد أمر بياني لكن علاقته وثيقة بالصوت، فكلما كانت الحروف واضحة، والمخارج دقيقة كان الصوت أكثر وضوحًا وتأثيرا ونفاذًا إلى القلب والعقل؛ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] وقد أورد الإمام ابن كثير عن الإمام الحسن البصري عند تفسيره لهذه الآيات أن البيان يعني: النطق، ورجح هذا القول؛ لأن السياق في تعليمه تعالى للقرآن الكريم، وهو أداء تلاوته، إنما يكون بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها[2].

وقد امتدح الرسول الكريم ﷺ صاحب القراءة الصحيحة المجودة، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ

(١) تدبر القرآن للدكتور فؤاد عبد الرحمن البنا ص٣٣٤ بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٨٩/٧ بتصرف واختصار.

حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، ...»[1].

وكونه ماهرًا به يشمل إتقانه للحفظ، وسلامة التلاوة، وتطبيق قواعد التجويد، ومعلوم أن مبنى الكلام قائم على المعنى، ولا شك أن سلامة النطق تزيد الفهم، وتكمل الإدراك، وتعين على التدبر.

وقد نعتت السيدة أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قراءته ﷺ فقالت: «قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا»[2]. وقال البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ (ﷺ) يَقْرَأُ فِي العِشَاءِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾،

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، سورة عبس: ٦/١٦٦، رقم (٤٩٣٧)، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه: ١/٥٤٩، رقم (٧٩٨)، سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن: ٢/٧٠، رقم (١٤٥٤)، سنن الترمذي: باب ما جاء في فضل قارئ القرآن: ٥/١٧١، رقم (٢٩٠٤)، سنن ابن ماجة: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن: ٢/١٢٤٢، رقم (٣٧٧٩)، السنن الكبرى للنسائي: كتاب فضائل القرآن، المتتعتع في القرآن: ٧/٢٧٠، رقم (٧٩٩٣).

(٢) أي مرتلة ومجودة مميزة غير مخالطة، بل كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ، والمراد حسن الترتيل والتلاوة. عون المعبود للعظيم آبادي ٤/٣٤٠. والحديث في سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ: ٥/١٨٢، رقم (٢٩٢٣)، ورواه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة: ٢/٧٣، رقم (١٤٦٦)، والنسائي في السنن الكبرى: العمل في افتتاح الصلاة، تزيين القرآن بالصوت: ٢/٢٨، رقم (١٠٩٦)، وكتاب قيام الليل وتطوع النهار، فضل السر على الجهر: ٢/١٤٧، رقم (١٣٧٩)، وكتاب فضائل القرآن، الترتيل: ٧/٢٧٣، رقم (٨٠٠٣)، من حديث الليث عن ابن أبي مُلَيْكَةَ عن يَعْلَى بن مَمْلَكٍ، ويَعْلَى بنُ مَمْلَكٍ لم يوثقْه غيرُ ابن حبان. ينظر: الثقات ٥/٥٦٦، ٧/٦٥٢. ومع ذلك فقد قال الترمذي: حسن صحيح. سنن الترمذي: ٥/١٨٢، وأخرجه أحمد في مسنده: ٤٤/١٤٧، رقم (٢٦٥٢٦)، ٤٤/١٩٠، رقم (٢٦٥٦٤)، وأبو داود في سننه: كتاب الحروف والقراءات: ٤/٣٧، رقم (٤٠٠١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وصححه ابن خزيمة: ٢/١٨٨، والدارقطني: ٢/٨٦، والحاكم: ١/٤٥٣ وأقره الذهبي، وأخرجه أبو عمرو الداني في (المكتفى في الوقف والابتدا: ١٢)، وقال: ولهذا =

فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ»[1]، فكانت قراءته (ﷺ) ترسلا[2] لا هذًّا[3] ولا عجلة[4]، بل قراءة مفسرة حرفًا حرفًا[5]، وكان يقطع قراءته آية آية[6]، ويمد عند حروف المد[7]، وكان أحيانًا يتغنى بقراءته ويرجع[8]

= الحديث طرق كثيرة، وقال ابن الجزري في (النشر: ١/٢٢٦): وهو حديث حسن، وسنده صحيح. وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، رقم (٢٣).

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب القراءة في العشاء: ١/١٥٣، رقم (٧٦٩)، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ الكِرَامِ البَرَرَةِ»: ٩/١٥٨، رقم (٧٥٤٦)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء: ١/٣٣٩، رقم (٤٦٤).

(٢) الترسل: هو الاتئاد والتمهل. مختار الصحاح ص١٢٢.

(٣) الهذ: سرعة القراءة وسرعة القطع. لسان العرب: ٥/٥٤[هـ.ذ.ذ].

(٤) عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاس: إِنِّي رَجُلٌ فِي كَلَامِي وَقِرَاءَتِي عَجَلَةٌ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: «لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فَأُرَتِّلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهُذَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ». مصنف عبد الرزاق: ٢/٤٨٩.

(٥) سيق تخريجه في الصفحة السابقة (٤٠).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٢٥٢، رقم (٢٩١٠)، وأبو داود في السنن: كتاب الحروف والقراءات: ٤/٣٧، رقم (٤٠٠١)، وأحمد في المسند: ٤٤/٢٠٦، رقم (٢٦٥٨٣). وقال الأرنؤوط: «صحيح لغيره، وهذا سند رجاله ثقات رجال الشيخين». المسند: ٤٤/٤٦-٤٧، ٧٠، ١٤٧-١٤٨، ٣٢٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢/٨٩٣، رقم (٥٠٠٠).

(٧) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة: ٦/١٩٥، رقم (٥٠٤٥).

(٨) الترجيع: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله: الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق، وقد جاء تفسيره في حديث عبد الله بن مغفل في كتاب التوحيد من صحيح البخاري «آاأ» بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم همزة أخرى، كذا ضبطه الحافظ وغيره، وقال العلامة على القاري: الأظهر أنها ثلاث ألفات ممدودات. ثم قالوا: يحتمل أمرين. أحدهما: أن ذلك حدث من هز الناقة. والآخر: أنه أشبع المد في موضعه، فحدث ذلك، قال الحافظ: وهذا الثاني أشبه بالسياق، فإن في بعض طرقه: «لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ، لَقَرَأْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ «اللَّحْنِ» أي: النَّغَم، وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع، فأخرج الترمذي في «الشمائل» والنسائي وابن ماجة وابن أبي داود، واللفظ له من حديث أُمِّ هَانِئٍ « كُنْتُ أَسْمَعُ صَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ – وَأَنَا نَائِمَةٌ عَلَى فِرَاشِي- يُرَجِّعُ الْقُرْآنَ». وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة، معنى =

صوته بها[١].

وعن زيد بن ثابت مرفوعًا: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنَّ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ كَمَا أُنْزِلَ»[٢].

وقال القسطلاني: وَقَدْ رُوِّينَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا: «جَوِّدُوا الْقُرْآنَ وَزَيِّنُوهُ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ، وَأَعْرِبُوهُ، فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ وَاللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْرَبَ بِهِ»[٣].

وقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ممن أعطي في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله حظًا عظيمًا، والشاهد لذلك قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[٤] يعني ابن مسعود رضي الله عنه.

وعنه: قال: قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ:

= الترجيع: تحسين التلاوة، لا ترجيع الغناء، لأن القراءة بترجيع الغناء، تُنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة. فتح الباري: ٩/٩٢، عمدة القاري: ٢٠/٥٥. وينظر -أيضًا- لسان العرب: ٨/١١٤، تاج العروس: ٢١/٦٤ [ر.ج.ع].

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب الترجيع: ٦/١٩٥، رقم (٥٠٤٧).

(٢) أورده ابن الجزري في (النشر: ١/٢٠٨)، والقسطلاني في (لطائف الإشارات: ٢١٠)، والمتقي في (كنز العمال: ٢/٤٩، رقم ٣٠٦٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١/٢٣، النشر ١/٢١٠، ويؤيده ما رُوي عن البراء بن عازب من قول الرسول ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» وهو صحيح الإسناد. أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة: ٢/٧٤، رقم (١٤٦٨)، والنسائي في السنن الصغرى: كتاب الافتتاح، تزيين القرآن بالصوت: ٢/١٧٩ ، رقم (١٠١٥، ١٠١٦)، وابن ماجة في سننه: كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت بالقرآن: ١/٤٢٦ ، رقم (١٣٤٢).

(٤) سنن ابن ماجة: باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ١/٤٩، رقم (١٣٨)، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢/٨٤٤، مسنده: ١/٢١١، رقم (٣٥)، مسند البزار: ١/٦٦، رقم (١٣)، صحيح ابن حبان: ١٥/٥٤٢، رقم (٧٠٦٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩٦١).

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: «أَمْسِكْ» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[١].

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ: صَلَّى بِنَا ابْنُ مَسْعُودٍ الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ بـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣] وَلَوَدِدْتُ أَنَّهُ قَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، مِنْ حُسْنِ صَوْتِهِ وَتَرْتِيلِهِ[٢]. وكيف لا يكون ذا تأثير في من سمعه وهو يتلو القرآن بطريقة محكمة، وهو الذي قال: «لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقْلِ، وَلَا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ»[٣].

أضف إلى ما سبق أن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ...﴾ [البقرة: ١٢١] ما يدل على سلامة التلاوة و إتقان التجو يد.

قال الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: «والمعنى: يقرؤونه مجودًا مرتلًا بخشوع وخضوع، كما نزل من جبريل، لا ينقصون عما ورد ولا يزيدون عليه، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، ويصدقون وعده ووعيده، ويتدبرون معانيه، يعملون بمحكمه، ويفوضون علم متشابهه إلى الله»[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، بَابُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾: ٤٥/٦، رقم (٤٥٨٣)، وكتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك: ١٩٦/٦، رقم (٥٠٥٠)، وكتاب فضائل القرآن، بَابُ الْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ: ١٩٧/٦، رقم (٥٠٥٥)، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن: ٥٥١/١، رقم (٨٠٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٣١٤/١، رقم (٣٥٩٥).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٢٥٦/٢، رقم (٨٧٣٣)، و١٤١/٦، رقم (٣٠١٥٦)، قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي: ١٥٢/١، شعب الإيمان: ٤٠٦/٣، رقم (١٨٨٣)، ٤٠٧/٣، رقم (١٨٨٤). وفي سنن أبي داود ٢/ ٥٦، أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: أَهَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَنَثْرًا كَنَثْرِ الدَّقَلِ؟ قال أبو سليمان الخطابي في معالم السنن ١/ ٢٨٣: «الهذ سرعة القراءة، و إنما عاب عليه ذلك؛ لأنه إذا أسرع القراءة ولم يرتلها فاته فهم القرآن و إدراك معانيه».

(٤) حاشية الصاوي على الجلالين ٥٣/١.

وفي روح المعاني للألوسي: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ...﴾ أي: يقرؤونه حق قراءته، وهي قراءة تأخذ بمجامع القلب، فيراعى فيها ضبط اللفظ، والتأمل في المعنى، وحق الأمر والنهي»[1].

فتلاوة القرآن الكريم حق تلاوته إذن: هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ[2].

٤- حسن الوقف والابتداء:

يعتبر الوقف والابتداء من أهم الموضوعات التي لا بد لقارئ القرآن الكريم من معرفتها ومراعاتها في قراءته؛ تطبيقًا وامتثالًا للتدبر الذي أمرنا به في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ...﴾ [ص: ٢٩] وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، ولذا فقد كان رسول الله ﷺ يعلمه أصحابه وينبههم إليه، ويدلهم عليه عمليًا عند أدائه، فيبين لهم بالوقف الفرق بين قول وقول، أو حكم وحكم آخر، أو الفرق بين ما يراد وما لا يراد في الكتاب المجيد، فيقول لهم فيما رواه الطبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لاَ تَخْتِمُوا ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، وَلاَ ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ»[3].

ومثله رواه أحمد عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ»[4]، أي: لا بد من مراعاة المناسبة بين رؤوس الآي

(١) روح المعاني ١/ ٢٧٠.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٢٨٧.

(٣) الطبري ١/ ٤٦. قال الشيخ/ أحمد شاكر: «وإسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٤) مسند أحمد ٣٥/ ٨٤-٨٥، رقم (٢١١٤٩). وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

ومضامينها، مع جواز ختمها بأسماء الله -تعالى- على وجه لا يخل بالمناسبة.

وعليه فلابد للوقوف والابتداءات أن تتفق مع وجوه التفسير الصحيح، واستقامة المعنى، وصحة اللغة ، وما تقتضيه علومها، فلا يخرج القارئ على وجه غير مناسب من التفسير والمعنى من جهة، ولا يخالف وجوه اللغة وسبل أدائها.

وبهذا يتحقق الغرض الذي من أجله يقرأ القرآن الكريم وهو التدبر والفهم والإدراك، ومن الضروري للقارئ أن يفهم ما يقرأ حتى لا يغير المعنى حال قراءته، وأن يكون يقظًا متفهمًا ما يقرأ، ملاحظًا معنى الآيات وما ترمي إليه ومواقع الجمل، دون الالتفات إلى التباهي بطول النفس، ودون الوقوف لأداء معانٍ تتفق والأهواء البشرية، بعيدة عن شرف المعنى القرآني وإعجازه.

هذا وقد حرص العرب على مواطن الوقف والابتداء في أداء عباراتها، واهتمت به في كلامها شعره ونثره، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه قال لرجل معه ناقة: «أتبيعها؟» فقال: لا عافاك الله، فقال: «لا تقل هكذا، ولكن قل: لا وعافاك الله»[1].

وإنما صحح له أبو بكر عبارته؛ لأن الكلام الأول دعاء عليه، بينما الكلام الثاني وهو كلام أبي بكر دعاء له.

وقد حظي علم الوقف والابتداء باهتمام من قبل العلماء، ومما يدل على ذلك قول ابن الأنباري: «ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه: معرفة الوقف والابتداء فيه؛ فينبغي للقارئ أن يعرف: الوقف التام، والوقف الكافي الذي ليس بتام، والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف...»[2].

وكذلك قول النِّكْزَاوِيِّ: «بَابُ الْوَقْفِ عَظِيمُ الْقَدْرِ، جَلِيلُ الخطر؛ لأنه لا يتأتى

(١) القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ص١٦-١٧.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/١٠٨.

لِأَحَد مَعْرِفَةُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَلَا اسْتِنْبَاطُ الْأَدِلَّة الشَّرْعِيَّة مِنْهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْفَوَاصِل»[1]، وكذلك قول أبي حاتم: «مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْوَقْفَ لَمْ يَعْلَمِ الْقُرْآنَ»[2].

ففي الأقوال السابقة دلالة على أهمية تعلم الوقف والابتداء، بل إذا أمعنا النظر في كلامهم نجدهم يرتبون تعلم الوقف على تعلم كثير من العلوم الشرعية والعربية التي حواها القرآن الكريم بين دفتيه.

وبالجملة: فالوقف حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وشرف للعالم، وبه يعرف الفرق بين: المعنيين المختلفين، والقضيتين المتنافيتين، والحكمين المتغايرين[3].

٥- تحسين الصوت بالتلاوة:

إن اختلاف الأصوات وتمايزها بين الناس آية من آيات القدرة الإلهية، ومن البراهين على كمال الحكمة والتدبر، وعلى الوحدانية وأنه سبحانه المتصرف في شؤون خلقه بما تقتضيه إرادته وحكمته؛ والمتأمل يرى من هذا التفاوت ما يبهره ويلفته إلى كمال القدرة. من هنا أجمع العلماء من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار وأئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن الكريم[4]؛ إذ إنه معين على حضور القلب وخشوعه وحزنه، وباعث على تدبر القرآن الكريم وتفهمه، وأدعى إلى الإصغاء وحسن الاستماع إلى القرآن الكريم، ويستدل على ذلك بما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا»[5]، وقال

(١) الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء، ورقة ١١.

(٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني ١/٢٤٩.

(٣) المصدر السابق، والوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ص١٣، ١٤.

(٤) البيان شرح التبيان في آداب حملة القرآن ص٩٠.

(٥) سنن الدارمي ٤/٢١٩٤، رقم (٣٥٤٤)، قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي ١٣٧، شعب الإيمان =

عليه الصلاة والسلام -أيضا-: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ»[1].

وقد امتدح النبي ﷺ قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حين سمعه يقرأ بصوت حسن جميل، فقال ﷺ: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[2]، وكان داود عليه السلام أحسن الناس صوتًا؛ فشبه حسن صوت أبي موسى وحلاوة نغمته، بصوت الآلة المعروفة بالمزمار.

وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنه مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، فَقَرَأَ لَيْلَةً سُورَةً مِنْهُ، وَإِلَى جَانِبِهِ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ[3]، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ، دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ أَصْبَحَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا»[4]؛ أي: لأجل حسنه في التلاوة.

ولا ريب أن امتداح رسول الله ﷺ لصوت أبي موسى وتلاوته، وتنزل الملائكة لتلاوة أسيد: لا يُتصور إلا إذا كان قد اجتمع فيها مع حسن الصوت، كمال الأداء وإتقانه؛ لذا ينبغي أن يكون ذلك التحسين على وجه يليق بتعظيم القرآن الكريم واحترامه، بحيث لا يشبَّه بالغناء وإنشاد الأشعار بالألحان كما يفعل ذلك بعض الأغبياء.

= ٢/٤٦١، رقم (١٩٥٥). وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ١/٦٧٦، رقم (٢٢٠٨).

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله -تعالى-: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾: ٩/١٥٤، رقم (٧٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن: ٦/١٩٥، رقم (٥٠٤٨)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن: ١/٥٤٦، رقم (٧٩٣)، والترمذي: باب مناقب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ٥/٦٩٣، رقم (٣٨٥٥). قال الخطابي: قولـه: «آلِ دَاوُدَ» يريد داود نفسه، لأنه لم ينقل أن أحدًا من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطي من حسن الصوت ما أعطي. فتح الباري: ٩/٩٣.

(٣) الشطن -بفتحتين-: الحبل الطويل الشديد الفتل، تشد به الخيل.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ١/٦٤، رقم (١٨٠)، وأصل الحديث في صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة الكهف: ٦/١٨٨، رقم (٥٠١١)، صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن: ١/٥٤٧، رقم (٧٩٥).

٦- الاستماع والإنصات:

واستماع القرآن الكريم والإنصات له مطلوب شرعًا. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أي: وإذا قرئ القرآن الكريم فأصغوا إليه أسماعكم لتفهموا آياته، وتتعظوا بمواعظه، وأنصتوا له بأدب وسكون وخشوع لتعقلوه وتتدبروه، ولتتوصلوا بذلك إلى رحمة الله -تعالى- بسبب تفهمه والاتعاظ بمواعظه، فإنه لا يفعل ذلك إلا المؤمنون المخلصون الذين استنارت قلوبهم بنور الإيمان.

فالمؤمنون هم الذين يجيدون تدبر الآيات القرآنية بالاستماع لها والإنصات من خلال تهيئة البيئة الداخلية والخارجية لاستحضار رحمات الله الموجودة في سحب القرآن الكريم.

والآية الكريمة تدل على وجوب الاستماع والإنصات للقرآن الكريم، فمن استمع وأنصت كان جديرًا بأن يفهم ويتدبر.

«واعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه. فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمو وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره، وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار، ومصَّروا الأمصار، واتسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلا بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون النبي ويصدونه عن تبليغ دعوة ربه إلا بمنعه من قراءة القرآن على الناس». ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وما ضَعُفت رقعة الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلا بهجر

تدبر القرآن وتلاوته والعمل به[1].

إذن فالاستماع أبلغ من السمع؛ لأن السمع يحصل ولو بغير قصد، أما الاستماع فلا يكون إلا بقصد ونية، وعليه فلا يكفي في الاستماع تفريغ جارحة السمع للإنصات فحسب، بل لابد من تخلية العقل، وتخلية القلب للخشوع[2].

أما مجرد السماع فقد لا يجدي شيئًا بدلالة أن مشركي مكة عند سماعهم القرآن أعرضوا وظلوا على شركهم وقد سجل عليهم القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

وفي المقابل مدح الله -تعالى- الجن بالاستماع قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقال جل شأنه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

وقد قادهم ذلك الاستماع إلى الإنصات والتواصي به، واستيعاب مراد الله -عز وجل-، والإيمان به، ثم الذهاب للتبشير بذلك فأفلحوا ونجحوا.

٧- قيام الليل بما حفظ:

فقيام الليل بالصلاة والتلاوة عامل ضمن العوامل المساعدة على تدبر القرآن الكريم والتفكر في آياته، وقد وجه الله -تعالى- نداء إلى حبيبه محمد ﷺ يحثه فيه على قيام الليل وتلاوة القرآن فيه قائلًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥] فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق، والدور العظيم هو قيام الليل

(١) تفسير المنار ٩/٤٦٣.

(٢) السابق ٩/٤٦١.

والتلاوة فيه، إنها العبادة التي تفتح القلب، وتدعو إلى التدبر والتفكر، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور ...

إن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل... إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير.

ولقد امتدح الله -تعالى- الفئة المؤمنة من أهل الكتاب الذين يتلون القرآن الكريم في صلاتهم ليلًا ويكثرون من التهجد، قال تعالى: ﴿...مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٤] فأنت ترى أن هاتين الآيتين قد أنصفتا المؤمنين الصادقين من أهل الكتاب، ووصفتهم بجملة من الصفات الطيبة.

وصفتهم بأنهم طائفة ثابتة على الحق، وأنهم يتلون آيات الله آناء الليل وأطراف النهار، وأنهم مكثرون من التضرع إلى الله في صلواتهم وسجودهم، وأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، وأنهم يأمرون بالمعروف، وأنهم ينهون عن المنكر، وأنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم من الصالحين.

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري: ﴿يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ «يقرءون كتاب الله آناء الليل، ويعني بقوله: ﴿ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، ما أنزل في كتابه من العبَر والمواعظ، يقول: يتلون ذلك ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾، يقول: في ساعات الليل، فيتدبَّرونه

ويتفكرون فيه...»[1].

فينبغي لصاحب القرآن الكريم أن يجعل له وِرْدًا من القرآن يقوم به في صلاته من الليل، فيتبع القرآن الكريم من أوله حتى يختمه في صلاته من الليل؛ إما في شهر أو في كل أربعين، أو أقل أو أكثر حسب النشاط والتيسير، ولا يترك ذلك ولا يكسل عنه، لقوله ﷺ: «إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»[2].

وفي الحديث الشريف -أيضًا-: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ»، قَالَ: «فَيُشَفَّعَانِ»[3].

فتأكد على القارئ للقرآن أن يقوم من الليل، وأن يقرأ في صلاته بالليل ما تيسر من القرآن، وليعلم أن المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية[4].

٨- التجاوب مع آيات القرآن الكريم:

لا بد لقارئ القرآن الذي يبتغي من وراء قراءته التدبر والتفهم والخشوع أن يتجاوب مع القرآن الكريم أثناء تلاوته، فالقارئ الخاشع المتدبر هو الذي

(١) جامع البيان ٧/١٢٥.
(٢) قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي ١/١٧٧، السنن الكبرى للنسائي: كتاب فضائل القرآن، نسيان القرآن ٧/٢٦٨، رقم (٧٩٨٩)، شعب الإيمان ٢/٢٥٠، رقم (١٨١١). وصححه الألباني في (الصحيحة ٢/١٤٧، رقم ٥٩٧).
(٣) مسند أحمد ١١/١٩٩، رقم (٦٦٢٦)، المعجم الكبير للطبراني ١٢/٣٨، رقم (٨٨)، المستدرك على الصحيحين ١/٧٤٠. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
(٤) فتح الباري لابن حجر ٩/٤٥.

يحدث الانسجام الوجداني بينه وبين القرآن الكريم بحيث يتفاعل مع آيات الرحمة والعذاب والوعد والوعيد، وأضرابها، ومع آيات الدعاء، ويتجاوب مع مطالب القرآن الكريم ونواهيه، ويدور مع مقاصد القرآن الكريم.

فلابد للقلب أن يتجاوب مع تصريف القرآن للآيات، فيطلب الرحمة عند آيات الرحمة، ويتفاءل عند آيات الرجاء، ويطمع عند قراءة آيات نعيم الجنة، دون أن يصل إلى مرحلة الأمن من مكر الله -عز وجل-؛ لأنه في ذات الوقت يستجير بالله -تعالى-، ويستعيذ به عند آيات العذاب، ويشعر بالخوف الشديد عند قراءة أنواع العذاب في جهنم، ويشهد لذلك ما ورد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، ...، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ...»[1]، فهذا ونحوه يعد من أعظم سبل التدبر الأمر الذي جعل الصحابة -رضوان الله عليهم- أوفر حظًا وأعظم نصيبًا في تدبر القرآن الكريم، ولذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، فحصل لهم الفهم التام، والعلم الصحيح[2].

وقد قال ابن القيم -رحمه الله-: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خاطب منه لك على لسان رسوله»[3].

ولكي يكون المرء دقيقًا في هذا الأمر لابد من جمعه بين الوعي الفكري والتفاعل الوجداني، كما فعل الجن عند سماعهم سورة «الرحمن».

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِه فَقَرَأَ عَلَيْهِم سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ: «لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ١/٥٣٦. (٧٧٢)، السنن الصغرى للنسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب تسوية القيام والركوع ٢/٢٢٥، رقم (١٦٦٤)، مسند أحمد ٣٨/٢٨٧، رقم (٢٣٣٦٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/١٧٦.

(٣) الفوائد لابن القيم ص٣.

أَحْسَنَ مَرْدُودًا منكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ على قَوْله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ»[1].

ويؤكد هذا ما قاله الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها، وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته، وتنزلها على داء قلبك»[2].

٩- التفكر والاعتبار:

التفكر: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء. وقيل: تصفية القلب بموارد الفوائد[3].

وهو بذلك سراج القلب يرى به خيره وشره، ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط.

والتفكر في آيات القرآن الكريم ضمانة للفهم، ولقد علل الله -تبارك وتعالى- نزول القرآن الكريم برجاء هذا التفكر كما في قوله تعالى: ﴿... كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقوله عز وجل: ﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

والتفكر في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين: تفكر فيه ليقع على مراد الرب -تعالى- منه. وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه. فالأول تفكر في الدليل القرآني، والثاني تفكر في الدليل العياني. فالأول تفكر في آياته المسموعة،

(١) سنن الترمذي: الذبائح أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الرحمن ٥/٢٩٩، رقم (٣٢٩١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ١/٢٧٢، رقم (٨٦١).

(٢) مدارج السالكين ٢/٣٠.

(٣) التعريفات للجرجاني ص٦٣، والمفردات للأصفهاني ٦٤٣.

والثاني تفكر في آياته المشهودة[1].

ولا يمكن أن تتم عملية التفكر في آيات الله القرآنية بمعزل عن التفكر في آيات الله الكونية والنفسية، ولذلك قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] وقد ورد أن رسول الله ﷺ بكى عندما نزلت عليه هذه الآيات، وتوعد من يقرؤها ولم يتفكر فيها[2].

ولهذا أنزل الله -تعالى- القرآن الكريم ليتدبر ويتفكر فيه، ويعمل به لا لمجرد التلاوة مع الإعراض عنه.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/٨٧.

(٢) صحيح ابن حبان: كاب الرقائق، باب التوبة ٢/٣٨٧، رقم (٦٢٠).

المبحث الثالث

معوقات التدبر

١- مرض القلب وانشغاله.

٢- الكبر.

٣- الغفلة وعدم الفقه.

٤- اقتراف الذنوب والإصرار عليها.

فكما أن لتدبر تلاوة القرآن الكريم أمورًا مساعدة على تحصيله، فهناك من المعوقات والصوارف التي تحول دون التدبر، منها:

١- مرض القلب وانشغاله:

فأصحاب القلوب المريضة لا يمكنهم تدبر القرآن الكريم؛ إذ يمسي هذا المرض قيدًا على القلب يمنعه من التدبر، ومعلوم أن أمراض القلوب: الريب والشك والطبع والطمس والران والأكنة والقسوة وكلها قد سجلها الله -عز وجل- في كتابه العزيز.

وهذه الأمراض من أعظم ما يصرف المرء ويصده عن اتعاظ قلبه وانشراح صدره لمواعظ القرآن الكريم وحِكَمِه وأحكامه.

كذلك أصحاب القلوب المنشغلة لا يمكنهم تدبر القرآن الكريم والتأثر به، وذلك لغفلة قلوبهم عن حلاوة القرآن في تلاوته وتدبره.

وقد ألمح الإمام ابن القيم ذلك حين قسم الناس عند سماع القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع قائلًا: «رجل قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجل له قلب حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب، ليس حاضرًا، فهذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

الثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى

السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر.

والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي قد حدق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسط من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه ...»[1].

لذا كان السلف الصالح يرون أن قليلًا من القراءة مع تدبر خير من كثير منها مع غفلة القلب وشرود الذهن.

٢- الكبر:

قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

هذه الآية الكريمة تحمل تعليلًا صحيحًا صائبًا لكل انحراف وفساد وظلم وشر وقع في الأرض ويقع إلى نهاية الحياة، وهذا التعليل الصحيح هو التكذيب بآيات الله -تعالى- والغفلة عنها، وسواء كان الحامل على التكذيب الكبر أو الظلم، أو التقليد أو العناد إلا أن الكبر أقوى عوامل الصرف عن آيات الله -تعالى- لقوله عز وجل في مطلع الآية الكريمة: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ...﴾ ويؤكد الإمام الطبري هذا المعنى عند تفسيره لهذه الآية فيقول: «اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: سأنزع عنهم فهم

(١) مدارج السالكين ١/٤٤١.

الكتاب. وقال آخرون في ذلك: معناه: سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج ... وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حقَّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادّكار بها مصروفون؛ لأنهم لو وفِّقوا لفهم بعض ذلك فهُدوا للاعتبار به، اتعظوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم». ﴿...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا، عقوبةً منّا لهم على تكذيبهم بآياتنا ... وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ لا يتفكرون فيها، لاهين عنها، لا يعتبرون بها، فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعَطِبوا»[1].

ولقد ندد الله -جلت قدرته- على المشركين الذين كان ديدنهم الكبر والإعراض عند سماع القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]، وقوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٥٦]، وقوله جل شأنه: ﴿يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٨].

بل إن الله -سبحانه وتعالى- يعنف الكفار يوم القيامة ومن على شاكلتهم بالاستكبار عن تدبر القرآن الكريم، فيقول جل شأنه مستنكرًا عليهم ومنددًا بهم: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١]، ويحضرني في هذا المقام ما قاله الإمام البخاري: وقال مجاهد: «لاَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ»[2].

(١) جامع البيان ١٢/١١٢-١١٣، ١١٥ باختصار.

(٢) كتاب العلم، باب الحياء في العلم ١/٣٨.

٣- الغفلة وعدم الفقه:

الغفلة: فقد الشعور بما حقه أن يشعر به[1]. أو أنها: سهو يعتري الإنسان من قلّة التّحفّظ والتّيقّظ[2].

ولقد أوضح لنا ربنا -جلت قدرته- أسباب استحقاق أهل النار دخول جهنم، وهي أنهم لا يستعملون عقولهم استعمالًا صحيحًا للوصول إلى حقيقة الإيمان وإدراك لذة السعادة الدنيوية والأخروية، ولا ينظرون بأعينهم نظر تبصر واعتبار وإمعان في آيات الله الكونية وآياته القرآنية، ولا يسمعون بآذانهم سماع تدبر وإصغاء آيات الله المنزلة على أنبيائه، كل ذلك بسبب الغفلة وعدم الفقه والإدراك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري معلقًا على الآية الكريمة: «... فإن معناه: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حُجَجه لرسله ...، فوصفهم ربُّنا جل ثناؤه بأنهم: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبُّر صحة نبوّة الرسل ...، ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها ...، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، آيات كتاب الله، فيعتبروها ويتفكروا فيها، ولكنهم يعرضون عنها، ويقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦]... هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم، هم كالأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح وما لا يَصْلح، ولا تعقل بقلوبها الخيرَ من الشر، فتميز بينهما. فشبههم الله بها؛ إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حُججه، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه ... هؤلاء

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص٢٥٢.

(٢) المفردات للراغب ص٦٠٩.

الذين وصفتُ صفتهم، القومُ الذين غفلوا يعني: سهوًا عن آياتي وحُججي، وتركوا تدبُّرها والاعتبارَ بها والاستدلالَ على ما دلّت عليه من توحيد ربّها، لا البهائم التي قد عرّفها ربُّها ما سخَّرها له»[1].

ولذا كثر في القرآن الكريم الإنكار على أهل الغفلة الذين لا يعتبرون ولا يتعظون بما أصاب غيرهم، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

ولقد ندد الله -تعالى- بالمعرضين الغافلين عن آياته عند التذكير بها فقال جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، بل أضاف إلى إعراضهم عن آياته تأكيد عدم السمع، أي: عدم الفهم والاستيعاب رغم وضوح الآيات، فقال عز وجل: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت: ٣-٥]، بل إنه جل وعلا بين انصراف الغافلين المعرضين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]، ولقد فعل الله بهم هذا الخذلان، وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله -عز وجل- مواعظه استكبارًا نفاقًا وغفلة[2].

---

(١) جامع البيان ١٢/ ٢٨٠-٢٨١.

(٢) تدبر القرآن للدكتور فؤاد عبد الرحمن البنا.

٤- اقتراف الذنوب والإصرار عليها:

تعد الذنوب -وخاصة الكبائر- أغلالًا تمنع الحواس من الانطلاق للتدبر وفهم القرآن العظيم، وتثقل الذنوب كاهل صاحبها، فتبطئ حركته نحو الخير، ومعلوم أن من هذا حاله من الذنوب لا يتأثر بالقرآن الكريم ولا ينتفع به إلا إذا تخلص من هذه الموانع.

وقد ألمح ذلك الإمام ابن قدامة حين قال: «وليتخل التالي من موانع الفهم، ... ومن ذلك أن يكون التالي مصرًا على ذنب، أو متصفًا بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصداه، ...، فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة»[1].

وقال البدر الزركشي: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر، أو هوىً، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق أو معتمدًا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعًا إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع وبعضها آكد من بعض»[2].

والخلاصة: أن أكثر الناس مُنعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحُجُب أسدلها الشيطان على قلوبهم، فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن.

وحجب الفهم ثلاثة:

أولها: أن يكون الهم منصرفًا إلى تحقيق الحروف فقط.

ثانيها: أن يكون مقلدًا لمذهب سمعه بالتقليد.

(١) مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي ص٦٧-٦٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤/١٨٩.

ثالثها: أن يكون مصرًا على ذنب أو متصفًا بكبر أو مبتلىً في الجملة بهوىً في الدنيا مطاع، فيحرم بركة الانتفاع بالوحي وفهم القرآن الكريم، فالإنابة شرط في الفهم والتذكير، قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣].

المبحث الرابع

ثمار التدبر

١- التأثر وخشوع القلب.

٢- الاستنباط.

٣- العمل بما في القرآن الكريم.

معلوم أن القرآن الكريم بمثابة الروح للحياة، والنور للهداية، ولكن لمن تدبره وتأثر به، وتعرف عليه، وفكر فيه وقلب نظره في آياته بتأمل، فهذه الأمور تنتج ثمارًا ينعكس نورها على تالي القرآن الكريم، فيحيا حياة طيبة في دنياه وآخرته، منها:

١ - التأثر وخشوع القلب:

معلوم أن تلاوة القرآن الكريم بتأثر وحضور قلب أمر مشروع مُحبب إلى الله ورسوله؛ إذ به تسمو الروح الإنسانية، وتبكي العين، وتتأثر الجوارح، وتذل النفس لخالقها، وتخضع لربها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فالآية الكريمة دعوة إلى الاعتبار بآيات القرآن والانتفاع بها والاتعاظ؛ لأن تدبر القرآن واجب والانتفاع به فرض, وقد ذكرت هذه الآية شروط الانتفاع بالقرآن والتأثر به، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ والتنكير يدل على معنى في الكمال، والمراد لمن كان له قلب عظيم حي زكي نقي تقي كما قال سبحانه: ﴿...إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩، ٧٠].

أما أصحاب القلوب الميتة أو اللازكية، المتلطخة بدنس الذنوب والمعاصي، فهؤلاء إذا ذكروا لا يذكرون؛ لأن: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال يحيى بن معاذ : «القلب قلبان: قلب احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من الأمور الآخرة لم يدر ما يصنع، وقلب قد احتشى بأهوال الآخرة حتى إذا

حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة»[1].

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي وجه سمعه، وأصغى حاسته إلى ما يتلى عليه من الوحي، ولقد أمر الله أنبياءه وأتباعهم المؤمنين بالاستماع للوحي عند تلاوته، ونهاهم عن الانشغال عن الاستماع لما يوحى ولو بتلاوة الموحى نفسه، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]، وكان النبي الكريم ﷺ إذا قرأ عليه جبريل عليه السلام تعجل بالقراءة خلفه خشية النسيان فطمأنه ربه -عز وجل- قائلًا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

وقال للمؤمنين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] لأنه بالاستماع يحصل الفهم المؤدي إلى العمل.

ومن أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، فذلك هو الاستماع الذي يحبه الله -تعالى-، وهو أن يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما سبق، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحضر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم أن يفهم فيعمل بما فهم.

قال سفيان بن عيينة: «أَوَّلُ الْعِلْمِ النِّيَّةُ، ثُمَّ الاِسْتِمَاعُ، ثُمَّ الْفَهْمُ، ثُمَّ الْحِفْظُ، ثُمَّ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّشْرُ»[2].

ثم يختم الله -تعالى- بقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: قلبه حاضر، يفهم ما تسمعه الأذن، فإن السماع مع غفلة القلب سماع الذين: ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٢.

(٢) جامع بيا ن العلم وفضله ١/٤٧٦.

وهكذا تضمنت الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] شروط الانتفاع بالقرآن الكريم والتأثر به، وإفادتها السامعين بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المطلوب، فذكرت أنه لا بد من محل قابل للتأثر، وهو القلب الحي، وأنه لا بد من تحصيل شرط وهو إصغاء السمع وحضور القلب، وأنه لا بد من انتفاء مانع يمنع من حصول الأثر وهو انشغال القلب وذهوله.

فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، ووجد المحل القابل وهو القلب الحي، وتوفرت الشروط وهي إلقاء السمع وحضور القلب، وانتفت الموانع وهي انشغال القلب وذهوله، حصل الأثر وهو الانتفاع بالقرآن والعمل به[1].

وعلى كل فالخشوع قاسم مشترك بين الأخلاق والعقيدة والعمل، بل إنه معنى شرعي وسلوك سني، فيه كل الانقياد لله رب العالمين، ولقد كان سلف الأمة يقرؤون القرآن الكريم بتدبر فيزدادون إيمانًا وتقوى، ولذلك كانوا يبكون لاستشعارهم أن الله -عز وجل- يخاطبهم بهذا الكلام في كل الأحوال، ولذلك فقد كان بكاؤهم فرحًا بآيات الوعد، وقد يكون حزنًا وخوفًا عند قراءة آيات الوعيد، يقرؤون آيات نعيم الجنة فيبكون شوقًا، ويقرؤون آيات عذاب النار فيبكون رعبًا، يقرؤون صفات أهل الجنة فيبكون رجاء أن يكونوا من أهلها، ويقرؤون صفات الكافرين والمنافقين من أهل النار فيبكون استجارة من الله -عز وجل- أن يكونوا من أهلها، ولأن من طبيعة القرآن الكريم أن يُبكي قراءه لو قرؤوه وفق المنهج القرآني ذاته.

فلا يوجد صحابي ثبت أنه تعامل مع القرآن الكريم بدون خشوع وتأثر وانفعال، حيث استوعبوا الآيات التي تتحدث عن طرائق التعامل المثلى مع القرآن العظيم، وإذا أردنا تتبع قصص الصحابة في هذا المضمار فسنحتاج لتسويد مئات

(١) الفوائد ص٣ بتصرف.

الصفحات، وسنكتفي بإيراد نماذج لعدد من الصحابة:

أ- سيدنا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لقد اشتهر سيدنا أبو بكر الصديق بكثرة خشوعه عند تلاوة القرآن الكريم إلى حد البكاء الشديد سواء أكانت التلاوة في الصلاة أو في غيرها، وقد جاء في صحيح الحديث أنه لما مرض الرسول ﷺ قال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ،...»[1]

ب_ سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

اشتهر سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بكثافة وقفاته المتدبرة الخاشعة مع القرآن الكريم، فقد كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقوم بإحدى جولاته الليلية لتفقد أحوال الرعية، وكان يمر بجانب أحد البيوت فسمع تاليًا للقرآن الكريم يتلو فاستمع له وأنصت، وإذا هو يستفتح سورة «الطور»، حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطور: ٧] كاد أن يقع عمر، حيث نزل من على دابته حتى تمالك نفسه، ثم عاد إلى بيته وظل مريضًا لمدة شهر، يعوده الناس، ولا يعرفون سبب مرضه[2].

ج- سيدنا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

كان سيدنا عبد الله بن عمر كثير البكاء عند تلاوته للقرآن الكريم، فما ذكر آية فيها ذكر النار إلا بكى، ولا آية فيها تهديد أو وعيد إلا بكى. قال نافع: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ١/١٣٧، رقم (٦٨٢)، صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر ١/٣٣١، رقم (٤١٨).

(٢) مسند الفاروق لابن كثير ٢/٦٠٧.

[الحديد: ١٦] بَكَى حَتَّى يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ»[١].

د- **وروي أن عكرمة بن أبي جهل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ يَأْخُذُ الْمُصْحَفَ وَيَضَعُهُ عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «كَلَامُ رَبِّي كَلَامُ رَبِّي»[٢].

وللسلف -رضوان الله عليهم- كلام في طريقة تحصيل البكاء عند التلاوة، وينعون على من لم يحصل ذلك، فالقلب يخشع ويتأثر، والعقل يفهم ويتدبر، والجسم يطبق ويعمل.

٢- الاستنباط:

الاستنباط في اللغة: هو الاستخراج أو الإظهار بعد الخفاء. قال الزبيدي: «وكُلُّ ما أُظْهِرَ بَعْدَ خفاء فقَدْ أُنْبِطَ، واسْتُنْبِطَ، ... وفي البَصَائِر: وكُلُّ شْيءٍ أَظْهَرْتَهُ بَعْدَ خَفائِه فَقَدْ أَنْبَطْتُه واسْتَنْبَطْتَهُ»[٣].

وأما في الاصطلاح: فقد عرفه الإمام الطبري بقوله: «وكل مستخرج شيئًا كان مستترًا عن أبصار العيون أو عن معارف القلوب، فهو له: (مستنبط)»[٤]. وعرفه الإمام الماوردي قائلًا: «والاستنباط: مختص باستخراج المعاني من النصوص»[٥]، ومراده بالمعاني: العلل الكامنة وراء النص. وقال النووي: «قال العلماء: الاستنباط: استخراج ما خفي المراد به من اللفظ»[٦].

(١) مصنف أبي شيبة ١١٨/٧، رقم (٣٤٦٤٧)، حلية الأولياء ٣٠٥/١.
(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٧١/١٧، رقم (١٠١٨)، المستدرك على الصحيحين ٢٧١/٣ رقم (٥٠٦٢). وعلق عليه الذهبي بأنه مرسل.
(٣) تاج العروس ١٣٣/٢٠.
(٤) جامع البيان ٥٧١/٢٠.
(٥) أدب القاضي ٥٣٥/١.
(٦) تهذيب الأسماء واللغات ١٥٨/١، وينظر تعريفه -أيضًا- في الكشاف ١١٧/٢، وأحكام القرآن للجصاص ٢٧٠/٢، ومدارك التنزيل للنسفي ٣٧٩/١.

وبناء على ما سبق نستنتج أن الاستنباط في القرآن الكريم يكون بمعنى استخراج المعاني والأحكام وألوان الهدايات في العقائد والعبادات والسلوك ونحو ذلك، أي أن المستنبط يتكلف ويبذل جهده، ويُعمل عقله وفكره ليصل إلى مراده.

هذا، والمتدبر لا يتدبر إلا في كلام يحتاج في إدراكه إلى تأمل وتفكر وإنعام نظر، ليستخرج خفيه ويقف على حقيقته، وبذا فإن التدبر يعد أصلًا أصيلًا للاستنباط؛ لأن الذي يستنبط الأمور الخفية والمسائل الدقيقة لا بد أن يتدبر ويتأمل فيها أولًا.

وعليه فالتدبر أعم والاستنباط أخص، وأيضًا فإن التدبر يؤدي حتمًا إلى الاستنباط، فالاستنباط ثمرة من ثمار التدبر.

واللافت للنظر أن التدبر جاء في القرآن الكريم قبل الاستنباط، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٢-٨٣].

بذا نرى أن هناك علاقة وثيقة بين التدبر والاستنباط تتلخص فيما يلي:

١. أن التدبر أصل الاستنباط وسبب له، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبره والتأمل في معانيه.
٢. أن التدبر يعم العلماء وغيرهم، والاستنباط خاص بأولي العلم.
٣. أن التدبر للمعاني الظاهرة والمقاصد العظيمة، والاستنباط لدقائق المسائل وفروعها.

وعليه فإن التدبر المأمور به في القرآن الكريم متوجه للمقاصد الأصلية من

آيات القرآن الكريم التي تدعو بتأملها إلى الاهتداء بهدي الإسلام، والإيمان بالله -تعالى- والإقرار وصدق الرسالة، وأما الاستنباط فهو لدقائق الأمور، ولذا خص به العلماء دون غيرهم.

وتوضيح ذلك: أن الناس متفاوتون في مراتب فهم النصوص، فإن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام، وأكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه، ودون إيمائه و إشاراته، وتنبيهه واعتباره[1].

قال ابن القيم: «والتذكر والتفكر منزلان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره، وبتذكره على تفكره، حتى يفتح قفل قلبه بإذن الفتاح العليم ...، فاعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقاد، مليء باستخراج العبر، واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نورًا على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله، وأعظمهم إيمانًا»[2].

ولهذا قال الطاهر بن عاشور -أيضًا-: «وإنك لتمر بالآية الواحدة، فتتأملها وتتدبرها، فتنهال عليك معان كثيرة، يسمح بها التركيب، على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك، فلا تك -من كثرتها- في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها، منافيًا للحمل على البعض الآخر، إن كان التركيب سمحًا بذلك»[3].

والخلاصة فإن شروط الاستنباط واستخراج الأحكام تتلخص فيما يلي:

أولا: سلامة المقصد عند بيان الأحكام.

---

(١) أعلام الموقعين لابن القيم ١/٢٦٧ بتصرف.

(٢) مدارج السالكين ١/٤٤٠، ٤٤٢.

(٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ١/٩٧.

ثانيًا: إتقان العلوم المؤهلة للاستنباط.

ثالثًا: معرفة موطن الاستنباط والنظر.

رابعًا: الاعتماد على الحجة.

خامسًا: مراعاة مقاصد الشريعة وغاية القرآن الكريم.

٣- العمل بما في القرآن الكريم:

يؤمن المسلم بقدسية كلام الله -تعالى- وشرفه وأفضليته على سائر الكلام، وأن القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، وأن أهله هم أهل الله وخاصته، والمستمسكون به ناجون فائزون، والمعرضون عنه هلكى.

ولقد رسم القرآن الكريم لنا المنهاج الكامل للحياة التي يحياها الإنسان في علاقته مع ربه عقيدة وعبادة وسلوكًا، وعليه فإن تدبر القرآن الكريم والعمل به له آثاره العظيمة في عبادة الإنسان وسلوكه.

ولا شك في أن التربية القرآنية هي أعلى تربية وأرقاها، وقد ظهرت بركة هذه التربية في الجيل الأول الذي نزل عليه القرآن منجمًا، يغرس فيهم أصول العقائد، ويعمق فيهم المعاني الإيمانية الشريفة، ويثبتهم على الإيمان، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون الآيات القرآنية بالإيمان والتصديق والتدبر، ويصدرون عنها بالعمل والاستجابة والطاعة، فترقى بهم القرآن الكريم إلى أعلى درجات اليقين والصدق والإخلاص والبذل والتضحية والثبات، وظهرت فيهم المواقف الإيمانية والأحوال الشريفة التي تُصدِّقُ ما في قلوبهم من إيمان وتصديق بالقرآن الكريم، وكان أمام الصحابة رضي الله عنهم التطبيق العملي للقرآن الكريم وهو الرسول الكريم ﷺ، فقد كان -صلوات الله وسلامه عليه- قرآنًا يمشي على الأرض؛ سئلت السيدة

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»(1).

فالقرآن الكريم حركته وسكونه، وعقيدته وسلوكه، وهو خلقه كما وصفت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولذا كان العمل بالقرآن الكريم والتزام تعاليمه فريضة على كل مسلم ومسلمة، ومطلبًا ملحًا أكد عليه رب العزة مرارًا وتكرارًا.

فمرة يأمر الله -تعالى- باتباع القرآن والسير على نهجه، فيقول سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ومرة يأمرنا بالاستمساك به، وعدم التفريط فيه، فيقول جل شأنه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، إلى غير ذلك من الأوامر التي حثنا عليها القرآن الكريم ولقد تسابق سلفنا الصالح في تدبر القرآن والعمل بما أنزل الله فيه، فلقد كانوا مع القرآن الكريم، كالجندي في الميدان يتلقى الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه.

ومن ثمّ ورد عنهم ما يفيد إقلالهم من الحفظ حتى يتمكنوا من تطبيقه والعمل بما فيه.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلَ بِهِنَّ»(2).

عن أبي عبد الرحمن، قال: «حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا: أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُخَلِّفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ

---

(١) مسند أحمد ٤١/١٤٨-١٤٩، رقم (٢٤٦٠١)، ٤٢/١٨٣، رقم (٢٥٣٠٢)، ٤٣/١٥، رقم (٢٥٨١٣)، خلق أفعال العباد ٨٧، المعجم الأوسط ١/٣٠، رقم (٧٢).

(٢) أخرجه الطبري ١/٨٠ من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن ابن مسعود. وسنده صحيح، وهذا موقوف على ابن مسعود ولكنه مرفوع معنى، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ، فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير.

الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا»[1].

ولقد حرص السلف الصالح -رضوان الله عليهم-على أن ينقلوا ضرورة الاهتمام بالعمل بكتاب الله إلى تلاميذهم، والأجيال التي ترث الكتاب من بعدهم ، وإليكم هذه الآثار:

عن العوام بن حوشب أن أبا عبد الرحمن السُّلَميّ «كان إذا ختم عليه الخاتِمُ القرآن أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه، وقال له: يا هذا اتق الله فما أعرف أحدًا خيرًا منك إن عملت بالذي علمت»[2].

وقال بعض القراء: «قرأت القرآن على شيخ لي، ثم رجعت لأقرأ ثانيًا فانتهرني وقال: جعلت القرآن علي عملًا، اذهب فاقرأ على الله -عز وجل- فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك وبهذا كان شغل»[3].

ولذا لا تعجب أن يبارك الله -تعالى- في هذا الجيل، فتتنزل الملائكة لقراءتهم مثلما حدث مع الصحابي الجليل أسيد بن حضير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويقرأ أحدهم الفاتحة على لديغ فيبرأ بإذن الله -تعالى-، وإنما الذي يدعو إلى العجب واقع المسلمين الآن الذي ينطق بإدانة دامغة لهم بأن القرآن العظيم لم يحظ عند كثير منهم في أيامنا هذه بالتقدير اللائق به؛ إننا لنعجب من موقف بعض المسلمين، وقد أحاطت بهم الظلمات من كل جانب وهم يتخبطون فيها، أين هم من كتاب ربهم؛ ذلك النور المبين والصراط المستقيم، ولذلك فإن رسول الإنسانية الأعظم -صلوات الله وسلامه عليه- يأخذ بيد أمته ويلفت أنظارهم إلى أن القرآن الكريم لا يعمل وحده، بل لا بد من جهد الإنسان، فقال ﷺ: «أَبْشِرُوا أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» ، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا

(١) رواه الطبري في تفسيره ١/٨٠ من طريق الحسين بن واقد عن الأعمش به، وذكره -أيضًا- أبو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص٣٣. وإسناد صحيح متصل.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٦-٧.

(٣) إحياء علوم الدين ١/٢٨٦.

الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[1].

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وعليه فينبغي لقارئ القرآن الكريم أن يعرف للقرآن حقه، وما يجب له من الاحترام والتعظيم، وما يتعين عليه من الأخذ به والعمل بما فيه، وما أرشد إليه من جميل الأوصاف، وكريم الأخلاق وصالح الأعمال، وهذا وإن كان مطلوبًا من عامة المسلمين فهو على قارئ القرآن الكريم أوجب وآكد، وهو به أجدر وأولى، لفضله وفضل ما معه من كتاب الله وبنيانه وحججه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ فَقَدْ وَضَحَ لَكُمْ الطَّرِيقُ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ لَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى النَّاسِ»[2].

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَبِوَرَعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ»[3].

فالقرآن الكريم بتلاوته وتدبره يمنح المسلم رؤية كاملة، ومنهجًا متماسكًا، يجعل من الحياة خطوطًا متوازية، لا تصطدم مهما امتد الزمن، فتجعل العلم مع الإيمان والعمل، وتجعل السرائر الباطنة مع المشاعر الحسية لا فواصل بينهما.

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٢٥/٦، رقم (٣٠٠٠٦)، صحيح ابن حبان ٣٢٩/١، رقم (١٢٢)، المعجم الكبير ١٨٨/٢٢، رقم (٤٩١)، وصححه الألباني في (الصحيحة ٢٣٠/٢، رقم ٧١٣).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ٥٤.

(٣) قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي ٥١، أخلاق أهل القرآن لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيّ ص١٠١، شعب الإيمان ٢٨٧/٣، رقم (١٦٦٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ... وبعد:

فقد وصلت إلى نهاية هذا البحث -بحمد الله وفضله وكرمه- ولقد كانت رحلة عظيمة غنية، أسأل الله -تعالى- بركتها، ولا أدعي أنني قد استوعبت كل المسائل المتعلقة بالتدبر، فهذه غاية لا تدرك إذ إنه هبة إلهية للبشرية جمعاء؛ لأنه من لوازم الفعل الذي خلقه المولى -سبحانه- في كل إنسان عاقل مكلف، وعليه فهو أمر يخاطب الله -تعالى- به الأمة كلها، ولا يختص بذلك أهل العلم، فكما أن العالم مطلوب منه التدبر، فكذلك العامي ومن يملك أدوات علمية تؤهله يمكن أن يقع منه التدبر، وقد يصل إلى ما يصل إليه أهل العلم، وقد يفتح الله عليه بسبب نور بصيرته ما لا يفتحه على العلماء.

وكما هو معلوم فإن التدبر أمر من الأمور الهامة، فهو الغاية من نزول القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فينبغي إذًا أن يكون التدبر قبل التلاوة، وأن يكون أثناء التلاوة، وأن يكون بعد التلاوة، ومن لم يحقق هذه الأمور فليس بمتدبر.

فيدخل في التدبر قبل التلاوة حضور القلب وتهيئته عن الشواغل وقبل ذلك حسن النية والإخلاص.

ويدخل في التدبر أثناء التلاوة أمور كثيرة، منها: التكرار، والحفظ، والقراءة

بتأن وتؤدة ونحو ذلك.

ويدخل في التدبر بعد التلاوة: الخشية، والقشعريرة وزيادة الإيمان والمبادرة بالعمل.

جعلنا الله وإياكم من التالين لكتابه العزيز حق تلاوته، المؤمنين به، الحافظين له المحفوظين به، المقيمين له القائمين به ... آمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهم مراجع البحث

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ)، تح/ شعيب الأرنؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢. أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، تح/ محمد صادق القمحاوي، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، ط. دار المعرفة - بيروت.

٤. أخلاق أهل القرآن، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ (ت: ٣٦٠هـ)، تح/ محمد عمرو عبد اللطيف، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ).

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح/ محمد عبد السلام إبراهيم، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، ط١. ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٧. الأمالي الخميسية، ليحيى بن الحسين الشجري الجرجاني الزيدي (ت:٤٩٩هـ), رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (ت: ٦١٠هـ)،

تح/ محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١. ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١م.

٨. إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عز وجل، لأبى بكر محمد بن القاسم ابن بشار الأنبارى، تح/ محيى الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١. ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٩. بحر الفوائد، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي (ت: ٣٨٠هـ)، تح/ محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وآخر، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١. ١٣٧٦هـ/١٩٥٧.

١١. البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تح/ غانم قدوري الحمد، ط. مركز المخطوطات والتراث - الكويت، ط١. ١٤١٤هـ/٩٩٤م.

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تح/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣. التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تح/ السيد هاشم الندوي.

١٤. التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، ط. دار ابن حزم - بيروت - لبنان، ط٣. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. تح/ يوسف علي بديوي، ط. دار الكلم الطيب، بيروت، ط١. ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م.

١٥. تدبر القرآن، للدكتور فؤاد عبد الرحمن البنا.

١٦. تدبر القرآن، للدكتور/ سليمان عمر السنيدي، ط. أضواء البيان - الرياض.

١٧. التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط١. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٨. التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تح/ إبراهيم الأبياري، ط. دار الكتاب العربي - بيروت، ط١. ١٤٠٥.

١٩. تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِي (ت:٢٩٤هـ)، تح/ د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط. مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١. ١٤٠٦هـ.

٢٠. تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢١. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، تح/ سامي بن محمد سلامة، ط. دار طيبة، ط٢. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢. التوقيف على مهمات التعريف، لمحمد المناوى (ت: ١٠٣١هـ)، تح/ د. محمد رضوان الداية، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط١. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٣. جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح/أحمد محمد شاكر، ط. مؤسسة الرسالة، ط١. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٤. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تح/ أبي الأشبال الزهيري، ط. دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط١. ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٥. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح/أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢. ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٢٦. الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح/الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط. مكتبة الرشد - الرياض، ط ١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٧. حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع مع السنن)، لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي (ت: ١١٣٨هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ٢. ١٤٠٦/١٩٨٦م.

٢٨. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، لأبي العباس أحمد بن محمد الخلوتي (ت: ١٢٤١هـ) دار الجيل - بيروت.

٢٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت: ٤٣٠ هـ)، مطبعة السعادة بمصر، ط ١. ١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م.

٣٠. خلق أفعال العباد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تح/ د. عبد الرحمن عميرة، ط. دار المعارف السعودية - الرياض.

٣١. الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تح/ الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، ط. دار المعارف، القاهرة.

٣٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تح/ على عبد البارى عطية، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٣. الزهد والرقائق، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الْمَرْوِزِيّ (ت: ١٨١هـ)، تح/ حبيب الرحمن الأعظمي، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ط. مكتبة المعارف - الرياض، ط١. ١٤١٥هـ.

٣٥. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ)، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء الكتب العربية.

٣٦. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تح/محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٣٧. سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، تح/حسين سليم أسد الداراني، ط. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١. ١٤١٢هـ/٢٠٠٠م.

٣٨. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح/محمد عبد القادر عطا، ط.دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، ط٣. ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م.

٣٩. سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تح/عبد الفتاح أبو غدة، ط. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط٢. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٠. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تح/محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١. دار طوق النجاة، ط١. ١٤٢٢هـ.

٤١. صحيح الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تح وتعليق/أحمد محمد شاكر، وآخرين، ط. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢. ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.

٤٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، ط. المكتب الإسلامي.

٤٣. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تح/محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣. ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

٤٤. ضعيف سنن الترمذي، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، توزيع: المكتب الاسلامي – بيروت، ط١. ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت: ٨٥٥ هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تح/ عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة، ط٢. ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٤٧. فتح الباري بشرح البخاري، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، ط. دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٨. فضائل القرآن، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تح/ مروان العطية، وآخرين،ط. دار ابن كثير - دمشق – بيروت، ط١. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤٩. الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٥٠. القاموس المحيط، لمجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٨. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥١. القرآن الكريم: آداب تلاوته وسماعه، للشيخ/ حسنين محمد مخلوف، ط. الكيلاني.

٥٢. القطع والائتناف، لأبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تح/د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ط. دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط١. ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

٥٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجاد الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٢٨هـ)، ط. دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣. ١٤٠٧هـ.

٥٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، تح/ بكري حياني وآخر، مؤسسة الرسالة، ط٥. ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٥. لسان العرب، لجمال الدين محمد (ابن منظور)، ط. دار صادر - بيروت، ط٣. ١٤١٤هـ.

٥٦. لطائف الإشارات لفنون القراءات، لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن محمد القسطلانى، تح/ الشيخ/ عامر السيد عثمان، ود/عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١. ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٥٧. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تح/ أنور الباز - عامر الجزار، ط. دار الوفاء، ط٣. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥٨. المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، ط. دار الفكر.

٥٩. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)،

تح/يوسف الشيخ محمد، ط. المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٠. مختصر قيام الليل، لأبي عبد الله محمد بن نصر المَرْوَزِي (ت: ٢٩٤هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، ط. حديث أكادمي، فيصل آباد - باكستان، ط١. ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

٦١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تح/محمد المعتصم بالله البغدادي، ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

٦٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ).

٦٣. المدخل لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (ت: ٧٣٧ هـ)، ط. دار التراث.

٦٤. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ)، تح/مصطفى عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، ط١. ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٦٥. مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المروزي (ت: ٢٤١هـ)، تح/ شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط. مؤسسة الرسالة، ط١. ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٦٦. مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، تح/محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١. ٢٠٠٩م.

٦٧. مسند الفاروق، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تح/ عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء - المنصورة، ط١. ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٦٨. مشكاة المصابيح، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله التبريزي (ت: ٧٤١هـ)، تح/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣. ١٩٨٥م.

٦٩. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تح/ حبيب الرحمن الأعظمي، ط. المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢. ١٤٠٣هـ.

٧٠. المصنف، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، تح/ كمال يوسف الحوت، ط. مكتبة الرشد - الرياض، ط١. ١٤٠٩هـ.

٧١. معالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت: ٣٨٨هـ)، وهو شرح سنن أبي داود، ط. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٧٢. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تح/ طارق بن عوض الله بن محمد، وآخر، ط. دار الحرمين - القاهرة.

٧٣. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تح/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط. مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢.

٧٤. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٧٥. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم بن محمد الراغب الأصفهاني، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت، ط١. ١٤١٢هـ.

٧٦. المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني

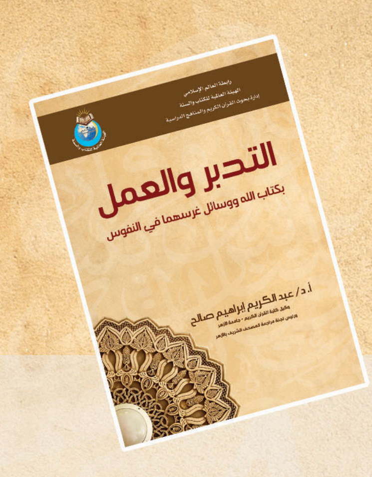
(ت: ٤٤٤هـ)، تح/ محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط١. ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ .

٧٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢. ١٣٩٢هـ.

٧٨. النشر فى القراءات العشر، لأبى الخير محمد بن محمد الدمشقى، الشهير بابن الجزرى (ت: ١٣٨٠ هـ)، تح/ علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠ هـ)، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

٧٩. الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، أ.د/عبد الكريم عوض صالح، ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١. ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

فهرس الموضوعات



هذا الكتاب

يبين حقيقة التدبر، وأهميته، وأنواعه، وأهمية العمل بالقرآن، ودعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى التدبر، كما يبين الأمور التي تساعد على تدبر القرآن الكريم، وعدداً من معوقات وموانع التدبر.

«وإن من أفضل الأعمال التي يُتقربُ بها إلى الله تعالى، وأعظم ذكر يذكر به الله جلت قدرته؛ قراءة القرآن الكريم تعبداً وتفكراً وتدبراً، بحيث يقود إلى طاعة الله سبحانه وامتثال أمره، إن تلك هي التجارة الرابحة على الدوام ، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ (فاطر: ٢٩-٣٠).

من مقدمة الكتاب للمؤلف


9789776637504